

تفسير البحر المحيط

@ 16 @ إلا المعصية . والظاهر بقاء الأكثر على حقيقته فقليل : وأكثرهم ، لأن منهم من قضى
□ له بالإيمان . وقيل : لأن منهم من له حفظ لمراعاة الحال الحسنة من التعفف عما يثلم
العرض ، ويجر أحدى السوء ، وأكثرهم خبثاً لأنفس خريجون في الشر لا مروءة تردعهم ، ولا
طباع مرضية تزعمهم ، لا يحترزون عن كذب ولا مكر ولا خديعة ، ومن كان بهذا الوصف كان
مذموماً عند الناس وفي جميع الأديان . ألا ترى إلى أهل الجاهلية وهم كفار كيف يمدحون
أنفسهم بالعفاف وبالصدق وبالوفاء بالعهد وبالأخلاق الحسنة . وقيل : معنى وأكثرهم وكلهم
فاسقون ، قاله ابن عطية والكرماني . .

{ اشْتَرَوْا ° بِبَيْئَاتِ اللّٰهِ ثُمَّ نَدَّآ قَلِيلاً فَمَدَّوْا ° عَن سَبِيلِهِ
إِنَّ زَنَّهُمْ ° سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الظاهر عود الضمير على من قبله من المشركين
المأمور بقتلهم ، ويكون المعنى : اشترؤا بالقرآن وما يدعو إليه من الإسلام ثمناً قليلاً ،
وهو اتباع الشهوات والأهواء لما تركت دين □ وآثرت الكفر ، كان ذلك كالشراء والبيع .
وقال مجاهد : هم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه . وقال أبو صالح : هم قوم من
اليهود ، وآيات □ التوراة . وقال ابن عباس : هم أهل الطائف كانوا يمدون الناس بالأموال
يمنعونهم من الدخول في الإسلام ، فصدوا عن سبيله أي صرفوا أنفسهم عن دين □ وعدلوا عنه .
والظاهر أن ° ساء هنا محولة إلى فعل . ومذهب بابها مذهب بئس ، ويجوز إقرارها على وصفها
الأول ، فتكون متعدية أي : أنهم ساءهم ما كانوا يعملون ، فحذف المفهوم لفهم المعنى . .
{ لا * يَرَوْ قُبُورَ - فِي مَوْءُومِنَ إِلاَّ ° وَاُولَئِكَ هُمُ الّٰمُعْتَدُونَ -
{ هذا تنبيه على الوصف الموجب للعداوة وهو الإيمان ، ولما كان قوله : { لا يَرَوْ قُبُورَ °
فِيكُمْ ° } يتوهم أن ° ذلك مخصوص بالمخاطبين ، نبّه على علة ذلك ، وأن ° سبب المنافاة هو
الإيمان ، وأولئك أي الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة هم المعتدون المجاوزون الحد في الظلم
والشر ونقض العهد . .

{ فَإِن تَابُوا ° وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ° وَآتَوْا الزَّكَاةَ ° فَإِخْوَانُكُمْ °
فِي الدِّينِ } أي فإن ° تابوا عن الكفر ونقض العهد والتزموا أحكام الإسلام فأخوانكم ، أي
: فهم إخوانكم ، والإخوان جمع أخ من نسب أو دين . ومن زعم أن ° الإخوة تكون في
النسب ، والإخوان في الصداقة ، فقد غلط . قال تعالى : { إِنَّ زَنَّا مَّا الّٰمُؤْمِنُونَ °
إِخْوَةٌ ° } وقال : أو بيوت إخوانكم ، وعلق حصول الأخوة في الدين على الالتباس بمجموع
الثلاثة ، ويظهر أن ° مفهوم الشرط غير مراد . .

{ وَزُفِّصَلُّ الْإِيَّاتِ لِقَوِّمٍ يَعْزَمُونَ } أي نبينها ونوضحها . وهذه الجملة اعتراض بين الشرطين ، بين قوله : فإن تابوا ، وقوله : وإن نكثوا ، بعثاً وتحريضاً على تأمل ما فصل تعالى من الأحكام ، وقال لقوم يعلمون لأنه لا يتأمل تفصيلها إلا من كان من أهل العلم والفهم . .

{ وَإِنْ نَكَثْتُمْ أَتَمَّانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنْتُمْ فِي دِينِكُمْ فَكَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنْ نَكُثْتُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَنْتَهُونَ } أي : وإن نقضوا إقسامهم من بعدما تعاهدوا وتحالفوا على أن لا ينكثوا . وطعنوا : أي عابوه وثلبوه واستنقصوه . والطعن هنا مجاز ، وأصله الإصابة بالرمح أو العود وشبهه ، وهو هنا بمعنى العيب كما جاء في حديث إمارة أسامة : (إن طعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل) أي عبتموها واستنقصتموها . والظاهر أن هذا الترديد في الشرطين هو في حق الكفار أصلاً ، لأن من أسلم ثم ارتد فيكون قوله : فقاتلوا أئمة الكفر ، أي رؤساء الكفر وزعماءه . والمعنى : فقاتلوا الكفار ، وخص الأئمة بالذكر لأنهم هم الذين يحرضون الأتباع على البقاء على الكفر . وقال الكرمانى : كل كافر إما نفسه ، فالمعنى فقاتلوا كل كافر . وقيل : من أقدم على نكث العهد والطعن في الدين صار رأساً في الكفر ، فهو من أئمة الكفر . وقال ابن عباس : أئمة الكفر زعماء قريش . وقال القرطبي : هو بعيد ، لأن الآية في سورة براءة ، وحين نزلت كان قد استأصل شأفة